

## محاضرة أسلوب القص في القرآن الكريم

### مفهوم القصة في القرآن الكريم

(أ) **القصة لغة** : ( القصة : الخبر ، وهو القصص ، وقصَّ علي خبره يقصه قصا : أوردته . ومنه : (القص وهو تتبع الأثر).  
(والقصص: الخبر المقصود، بالفتح، وُضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب)  
فمدلول القصة في اللغة واضح، وواسع، ولكن بعض المحدثين يختار مدلولاً للقصة فيه بعض القيود، وهو: ( الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى لا يخلو من بعض عبرة فيه شيء من التطويل في الأداء).

(ب) **القصة اصطلاحاً**: أما مفهوم القصة في القرآن الكريم، فهو وإن كان واضحاً في مفرداته ومصاديقه، وذلك من خلال وضوحه في اللغة، غير أن ضبطه بحدِّ في القرآن الكريم قد تنافوت فيه وجهات النظر، وذلك نظراً لما في القصة القرآنية من خصائص تميزها عن غيرها؛ من صدقٍ في الواقعية التاريخية، وجاذبية في العرض والبيان، و(شمولية في الموضوع، وعلو في الهدف، وتنوع في المقصد والغرض، ووضوح في الإعجاز).  
- فمدلول القصة في القرآن: هي القصة الواردة في القرآن مضافاً إليها تلك الخصائص والسمات التي تميزت بها على غيرها.  
- وللقصة ألفاظ تدخلها في مدلولها كثيراً، ك( النبأ، والخبر، والمثل)، ولا يتسع المقام لتفصيل ذلك.

### أنواع القصص في القرآن ثلاثة:

**النوع الأول**: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين. كقصة نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.  
**النوع الثاني**: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وحالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذو القرنين، وأصحاب السبب، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.  
**النوع الثالث**: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.

### أثر القصة وأهميتها في القرآن الكريم:

(أ) **أثر القصة في النفوس**: لقد جاء القرآن الكريم داعياً إلى الهداية والرشاد، بأساليب شتى؛ فتارةً بالوعد والوعيد، وتارةً بالإقناع العقلي، وتارةً ثالثةً بوحز الضمير والوجدان، ورابعةً بتوجيه الفطرة إلى حقيقتها، وخامسةً بالإعجاز بشئ أوانه، وأحياناً كثيرة: بأسلوب القصص، الذي هو أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان، وأكثر العوامل النفسية تأثيراً فيه، وذلك لما في هذا الأسلوب من المحاكاة لحالة الإنسان نفسه، فتراه يعيش بكل كيانه في أحداث القصة، وكأنه أحد أفرادها، بل وكأنه هو " بطل القصة" أو "الشاهد" فيها، فيزى من خلالها كل من الصالح والطالح ما في نفسه من أحاسيس، وما في خَلده من أحاديث، وما يجري حوله من أحداث وحوار.. كل ذلك من خلال تجاوبه مع القصة.. فالقصة.. لا سيما إن كانت بأسلوب شيق، وبيان رائق.. لها من التأثير والجاذبية ما لا تبلغه أية وسيلة أخرى من الوسائل الدعوية أو التعليمية أو التربوية، فكيف إذا كانت بأسلوب ربايٍّ معجز، له من الواقعية والصدق ودقة التصوير، ومن السمات ما ليس لغيره!!

- ولو أننا قمنا بمقارنة سريعة بين أحدث المناهج التعليمية والتربوية اليوم.. لوجدنا أن أكثر المناهج نجاحاً في عرض الفكرة أو صياغة المادة العلمية بأسلوب قصصي جذاب.. هي أكثرها نجاحاً وأينعها ثماراً.. لأنها تكون حينئذ أحب إلى قلب الطالب، وأقرب إلى فطرته، وأسهل عليه حفظاً وفهماً، وأدعى لتلقيها بدون أي مشقة أو ملل..

- ولذلك؛ « كانت القصة ولا تزال مدخلاً طبيعياً يدخل منه أصحاب الرسالات والدعوات، والهداة، والقادة، إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم، ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه، من آراء، ومعتقدات، وأعمال..»، « ولقد أصبحت الفنون كلها اليوم من وراء القصة..»

(ب) **أهمية القصة في القرآن**: ومما زاد من أهمية القصة في القرآن الكريم ما يلي:

- أ- ورودها منسوبة إلى رب العزة والجلال في قوله تعالى: { نحن نقص عليك أحسن القصص }.
- ب- أمر الله رسوله أن يقص على الناس ما أوحى إليه: { فاقصص القصص لعلهم يتفكرون }.
- ج- القصة معلم بارز من معالم القرآن لتوضيح الحقائق وإزالة الشبه: { إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون }.
- د- وألقص. بالمفهوم العام. كان من مهمات الرسل عليهم الصلاة والسلام: { يا معشر الجن والإنس ألم يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي }.
- هـ- وحياة الأنبياء هي محور القصص، وهم موضع القدوة والأسوة { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده }.

### خصائص القصة في القرآن الكريم:

يتميز القَصَصُ القرآنيّ عن غيره من سائر القصص بخصائص يعلو بها جلاله وقداسته، ويزداد بها بلاغة وإعجازاً، ويعظم بها أهمية وتأثيراً، وبهذه الخصائص استحق أن يُوسَمَ بأحسن القصص في قوله تعالى: {نحن نقص عليك أحسن القصص}. فمن تلك الخصائص:

١. التكرار الهادف المعجز: ولما لهذه الخصيصة من تميز وظهور.. فإنما أفردنا الحديث عنها لبيان المراد بإطلاق ( التكرار ) في القرآن، وبيان مغايته وأهدافه التي تزيد سمو ورفعة، وبيان الكتب التي ألّفت خاصة في بيان تلك الروعة القرآنية .

٢. الواقعية التاريخية: ونعني بها أن كل ما في قصص القرآن من أخبار الأولين فإنها هي حقائق تاريخية صادقة لا يصادمها عقل، ولا يخالفها نقل، وسواء في تلك المصادقية ما كان من أخبار الأنبياء مع أقوامهم، وما كان من قبيل المعجزات وخوارق العادات، كانفلاق البحر وكلام المهدهد والنملة، وليس فيها أي نوع من التناقض أو الاختراع، ولا أي شكل من أشكال الخيال أو التصوير المجرد عن الحقيقة، ولا أي صورة من صور الرمز أو الإشارة.

٣. الشمولية المطلقة: فقصاص القرآن شاملة من عدة جهات:

أ- ( في حصر النفوس المخاطبة وطباعها وخلالها ووجهاتها ومكامن شعورها..

ب- في تنوع الأساليب والوسائل الملائمة لكل جنس وطبقة ولون..

ج- ومن حيث الزمن؛ فالقصة تتحدث عن الماضي والحاضر والمستقبل.. )

د- ومن حيث شمولية موضوعاتها؛ فكما أنك تجد في موضوعات القرآن شمولاً.. فكذلك تجد في قصص القرآن شمولاً لكل تلك الموضوعات، من عقائد

وعبادات وأخلاق وآداب اجتماعية واقتصادية وسلطانية وغير ذلك..

٤. كونها هادفة: فالغاية الأولى من قصص القرآن هي تأملها وأخذ العبرة منها وتصحيح العقائد والأخلاق، حتى ينصلح الفرد والمجتمع، وليست الغاية قاصرة على إمتاع النفوس بسماع قصص مسلية أو بطولات خيالية، أو إظهار براعة أدبية مجردة عن هدف الإصلاح، كما هو الحال في عامة الفن القصصي، وليست الغاية أيضاً سرّاً تاريخياً جافاً، كما هي مهمة المؤرخين، فالقرآن بكل ما فيه من قصص وغيرها هو كتاب هداية وعبرة بالدرجة الأولى، قال جل شأنه: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب، ما كان حديثاً يفترى، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون).

٥. الإعجاز القصصي: إن القصة تمثل جزءاً كبيراً من القرآن، وبالتالي فهي كسائر القرآن في كل خصائصه وسماته العامة، ومن ذلك كونه معجزاً؛ فوجوه الإعجاز التي تجدها في سائر القرآن غير القصص تجدها في القصص، لكن القصص يزيد على ذلك بوجوه أخرى من الإعجاز تميزه عن غيره.. فمن تلك الوجوه: التكرار الهادف؛ حيث تجد في كل موطن من العبر واللطائف والإشارات ما لا تجده في نفس القصة في موطن آخر، ومن وجه آخر؛ حيث يعجز إنسان. مهما أوتي من البيان. عن التنوع في قصة واحدة بضروب من الفصاحة، دون أن تظهر عليه علامات الضعف أو الرّكة أو التفكك أو التكلف. ومنها: إخباره عن قصص ماضية دراسة صدّقها أهل الكتاب. ومنها: إخباره عن قصص مستقبلية غيبية.. منها ما صدّقها الأيام، ومنها ما سيقع.. وغير ذلك مما هو مبسوط في مظانّه من كتب الإعجاز...

### أهداف القصص القرآني:

إن الهدف الأول من القصص القرآني لا يتجاوز المحور الأعظم لأهداف القرآن الكريم، ألا وهو كونه هداية للناس أجمعين فالقصة القرآنية تمثل جزءاً كبيراً من القرآن الكريم، وهي تتحد مع ما سواها مصدرًا وموضوعًا وغايةً، ولكن إذا ما أردنا شيئاً من التفصيل فإننا نستطيع أن نجمل أهداف القصص القرآني في النقاط التالية: {وذلك من خلال ما أشارت إليه آيات القرآن متفرقة في معرض حديثها عن قصص متعددة}:

١- تثبيت قلب النبي: قال تعالى: {وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك} ففي أخبار المرسلين وتكذيب أقوامهم تسليّة وتصبير لقلب النبي. وللمؤمنين والدعاة من بعده. على ما يلقاه من أذى المشركين وتكذيبهم، كما قال تعالى: {قد نعلم إنه ليخترنك الذي يقولون..} الآية {ولقد كُذِّبَتْ رسلٌ من قبلك فصبروا على ما كُذِّبوا وأودوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلماتِ الله ولقد جاءك من نبي المرسلين}.

٢- إثبات صدق النبي في رسالته.. فمن وجه؛ أن دعوة الأنبياء واحدة ومنهجهم واحد، وبالتالي فإن النبي كما قال جل شأنه: {قل ما كنت بدعاً من الرسل} وقال أيضاً: {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} ومن وجه آخر؛ حيث ينبئ النبي بأخبار الأمم السابقة والقرون الساحقة مما لا يعلمه أحد من كتاب العرب فضلاً عن أميٍّ مثله « صلى الله عليه وسلم » وهذا ما أشار إليه الحق سبحانه حين قال: . وهو يعرض قصص الأنبياء في: { تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا } ، وحين قال . مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم في بعد عرض شقيق وطويل لنبا موسى وفرعون: {وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكننا أنشأنا قروناً فتناولوا عليهم العُمر وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين\* وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمةً من ربك لتنذر قومًا ما أتاهم من نذيرٍ من قبلك لعلهم يتذكرون}.

٣- الاعتبار والاتعاظ من خلال النظر في سنة الله النافذة في هذا الكون، فالعاقبة دائماً للمتقين، والبوار والخزي دائماً على الظالمين، وما أكثر الآيات التي تأمرنا بالسير في الأرض للنظر والاعتبار من عواقب وآثار الماضين، وفي هذا يقول سبحانه: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) ومعنى العبرة: هو التأمل

والاعتاظ والاعتبار بأن نقيس أنفسنا على السابقين ممن قصَّ الله علينا نبأهم بالحق، فنعلم أنَّ سنة الله ماضية فينا كما خلت في الدين من قبلنا، إن خيرا فخير.. وإن شرا فشر..

٤- تصحيح العقائد الفاسدة وتثبيت العقائد الصحيحة « ومحورها أمران : الإيمان بالله وحده، والإيمان بالبعث بعد الموت » ، وهذا ظاهر من خلال دعوات الرسل والأنبياء جميعا لأقوامهم .

٥- تقويم الخلق والسلوك الفردي والجماعي، وتحقيق خلافة الإنسان في الأرض، وهذا ظاهر من خلال معالجة كل نبي لصفة معينة في قومه . عدا الكفر . كان يسعى لإصلاحها؛ فالقصص يصوِّرُ . مثلا . شناعة ما كان عليه قوم لوط.. وما كان عليه أهل مدين.. وما كان عليه الطغاة والمفسدون من ظلم وجور ومنع للفقراء.. وتصورُ شناعة الحسد الذي حمل أحد ابني آدم على قتل أخيه.. وشناعة طبائع اليهود... وفي جانب آخر تصور ما كان عليه الأنبياء والصالحون من صبر وعدل وعطاء .. وكيف حقق سيدنا سليمان عليه السلام وغيره الخلافة في الأرض على أساس من العدل والخلق والاستقامة...

٦- وثمة أهداف أخرى كثيرة لمن تأملها مثل التوكل على الله، لاسيما بالنسبة للدعاة والمصلحين، وانتهاج الأسوة الحسنة في الأنبياء، والتحمل بمكارم الأخلاق، وتعلم آداب الحوار، والجدال بالحسنى، وأساليب الدعوة إلى الله تعالى، وكيف يدخل الداعية إلى قلوب المدعوين، ومعرفة طبائع الناس عامة عند كفرهم وإيمانهم، وطبائع أقوام بعينهم مثل بني إسرائيل، وكيفية التعامل معها، وتشخيص أمراض المنحرفين والمعاندين، وكيفية معالجتها، وغير ذلك ...

### التكرار الهادف في القصص القرآني:

( يطلق التكرار بمعنى ذكر الشيء مرة بعد مرة. وأكثر ما يتحقق في ذلك المفهوم أن يعاد ذكر الشيء بلفظه أو مرادفه من غير أن يكون هناك جديد في الإفادة، وهذا المعنى لا يتحقق في القصص القرآني الكريم، بل لا يمكن أن يتحقق أو يكون .. ) .

ويشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة قد يتعدد ذكرها في القرآن. ومن القصص القرآنية مالا يأتي إلا مرة واحدة مثل قصة لقمان وأصحاب الكهف ومنها ما يأتي متكررا حسب ما تدعو إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر كقصة موسى التي تكررت عشر مرات.

ومن هنا يمكننا أن نفهم أهداف التكرار في ضوء الحكيم والأسرار التالية:

أ- إذا كرر القصة الواحدة فإنما هو لفائدة اشتمل عليها كل موضع خلت منها المواضع الأخرى، ومن أمثلة ذلك: عصا موسى عليه السلام؛ ففي سورة طه: وصفها الحق سبحانه بأنها (حيّة تسعى) وفي سورة الأعراف (ثعبان مبيّئ) وفي سورة النمل: (تحتز كأنها جان) فهي حية باعتبار ضخامتها، وثعبان من حيث الخفة والنشاط وسرعة الحركة، وهي كأنها جان لكونها مرعبة.

ب- أن القصة المكررة تكون متجهة إلى هدف غير الهدف الذي تتجه إليه القصة في مواضع أخرى.. أو تتحدث من جهة غير الجهة التي تعرضت إليها في مواضع أخرى.. وذلك نظرا لأن القرآن كتاب هداية وعبرة، وليس كتاب سرد تاريخي، ولا متعة أدبية فارغة . فتكون القصة وسيلة لتحقيق تلك الأهداف المتعددة، متجهة نحو الغرض الذي سبقت من أجله.

ج- المعالجة الحكيمة للنفس بترسيخ العقيدة والمفاهيم الصحيحة في عقول المدعوين عن طريق التكرار في قالب القصص الواقعي الجذاب.. ولقد قرر علم النفس الحديث أن الشيء يرسخ في النفس بتكراره مرارا مالا يرسخ بعرضه مرة واحدة أو مرتين.. لاسيما إن كان جديدا تنفر منه طبائع المشركين، وتشذ عنه عادات الجاهليين.

د- أن عرض الحادثة الواحدة في أساليب كثيرة متلوونة وصور بيانية متنوعة، دون أن يختل نظمها، أو يضطرب معناها، أو تتفكك روعته، أو يضعف مستواه، هو مما يعجز عنه أبلغ الفصحاء.. وفي هذا المعنى يقول الإمام الباقراني رحمه الله تعالى في كتابه « إعجاز القرآن » (إن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا.. من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتبين البلاغة).

هـ- أن القرآن كما تحداهم بتنوع أساليبه الكثيرة.. تحداهم كذلك بمحاكاة أسلوب واحد من أساليبه الكثيرة، ولون واحد من ألوانه العجيبة.. فعجزوا خاسئين.. وفي هذا المعنى يقول الإمام الباقراني رحمه الله تعالى في كتابه « إعجاز القرآن » ( ونهبوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ ومكررا!! ) .

- ولقد ألفت العلماء قديما وحديثا مصنفات واسعة في بيان (أسرار التكرار) و( الوجوه والنظائر) الواردة في القرآن الكريم، في ألفاظه وفي قصصه، كالإمام الكرمانلي في كتابه: « أسرار التكرار في القرآن »، والإمام ابن الخطيب الفيروزي آبادي صاحب « القاموس المحيط » في كتابه: « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز »، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري في كتابه: « فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن » .